

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فوائد عن عشر ذي الحجة ويوم عرفة -1447هـ

الحمد لله ذي الجلال والإكرام، العظيم بصفات الكمال والمنزّه عن صفات الأجرام، باعث الأنبياء بالحقّ داعين لدين الإسلام، والصلاة والسلام على صاحب السّنة المطهّرة، محمد المبعوث بالقرآن والمبين له بالحجة المفسّرة، وعلى آله الطاهرين وصحابته الأخيار البرّة، وعلى كلّ من تابّعهم على نهج حفظه الله من تحريف الفجّرة.

أما بعد فإنّ الله تعالى يقول: {لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ} (سورة الحج، 28)، وقد ذهب جمهور العلماء ومنهم ابن عباس رضي الله عنهما إلى أنّ هذه الأيام هي العشر الأوّل من ذي الحجة¹، وهي أيام طيبة مباركة فقد روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: {ما العمل في أيام أفضل منها في هذه}، فالعمل في هذه الأيام أفضل عند الله تعالى من العمل في غيرها.

وقد جعل الله تعالى مزيةً لهذه الأيام حيث اجتمعت فيها مواعيد كبرى للمسلمين تُذكّرهم بفضل الله تعالى وما أنعم به عليهم من نعم لا تُحصى كما قال تعالى: {وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ} (سورة إبراهيم، 5)، أي ذكّرهم بأيام الإنعام، ومن المعلوم أنّ أيام العشر من ذي الحجة تُفتح فيها أبواب الفضل والطاعات للحجاج ولغيرهم من المسلمين في مختلف البقاع ليُكثّروا من ذكر الله ويشكروا نعمه ويسعوا في طلب رضاه والنّجاة في الآخرة والعق من النيران. ومما اشتملت عليه هذه الأيام:

1-يوم عرفة

وهو أفضل أيام السنة وفيه يجتمع الحجاج في موقف مهيب بقلوب خاشعة لله راجية رحمته سبحانه وتعالى، هو موقف يُذكّر المؤمنين بما وعد الله من جمع الناس للحساب²، وهو موقف يُذكّر المؤمنين بأنه لا فضل لعربي على أعجمي

¹ تفسير النسفي.

² والحساب هو عرض أعمال العباد عليهم فيكون العباد في أرض الموقف والله تعالى موجود بلا جهة ولا مكان ولا مقابلة فيحاسبهم على ما عملوه في الدنيا، ويكلّم الله العباد بكلامه الأزلي الذي لا يشبه كلام المخلوقات فكلامه عز وجل بلا حرف ولا صوت ولا

إلا بالتقوى كما قال تعالى: { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ } (سورة الحجرات، 13)، ذلك الموقف الذي يَسْتَوِي فِيهِ الْعَنِي وَالْفَقِيرُ وَمَنْ كَانَ مَشْهُورًا بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ لَا ذِكْرَ لَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَوَاعِظِ وَالْعِبَرِ الَّتِي يَتَّعِظُ بِهَا مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَنْفَعَهُ الْمَوَاعِظُ³.

وقد جاء في فضل يوم عرفة آيات وأحاديث من ذلك:

- أنه اليوم الذي أقسم الله تعالى به⁴ في قوله عز وجل: { وَشَاهِدِ وَمَشْهُودٍ } (سورة البروج، 3)، فقد روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: { وَالْيَوْمُ الْمَشْهُودُ يَوْمُ عَرَفَةَ وَالشَّاهِدُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ }.

- وأن صيامه سبب لتكفير ذنوب عامين فقد روى مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: { صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ، وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ }.

- ومن ذلك أن الدعاء فيه ليس كالدعاء في غيره ولذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يهتّم فيه بالدعاء فقد روى الطبراني عن العباس بن مرداس أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا لأُمَّتِهِ عَشِيَةَ عَرَفَةَ بِالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ فَأَكْثَرَ الدَّعَاءَ فَأَجَابَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى⁵: إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ إِلَّا ظُلْمَ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ فَأَمَّا ذُنُوبُهُمْ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَقَدْ غَفَرْتُهَا فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ

لغة فيفرح التقي بتكليم الله له لأنه يفهم منه أنه من الناجين المنتعمين ويغتم الكافر لأنه يفهم من كلام الله تعالى أنه من المعدّبين الخالدين في نار جهنم والعياذ بالله.

³ ومن الاتعاظ بما يكون في يوم عرفة أن يُذَكَّرَ الْمُؤْمِنُ نَفْسَهُ بِالْمَوْتِ وَأَنَّهُ عَمَّا قَرِيبٍ رَاحِلٌ عَنْ هَذِهِ الدُّنْيَا لِيَكُونَ شَأْنُهُ فِي ذَلِكَ شَأْنًا مَنِ اقْتَرَبَ رَحِيلَهُ فَيَنْظُرُ فِيمَا يُصْلِحُهُ وَهُوَ مُفَارِقٌ لِلدُّنْيَا مُقْبِلٌ عَلَى الآخِرَةِ فِي أَوَّلِي مَنَازِلِهَا حِينَ يَدْخُلُ الْقَبْرَ، فَيَتَزَوَّدُ الْفِطْرُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ مَا يَنْفَعُ الْمُؤْمِنَ فِي آخِرَتِهِ حُضُورَ مَجَالِسِ الْعِلْمِ.

⁴ والله تعالى يُقَسِّمُ بِمَا شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ وَلَا يُقَسِّمُ إِلَّا بِمَا لَهُ شَأْنٌ، وَأَمَّا الْمَخْلُوقُ فَإِنْ أَرَادَ الْحَلْفَ فَلِيُحْلِفَ بِاللَّهِ فِيمَا لَيْسَ كَذِبًا، وَأَمَّا الْحَلْفُ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ اخْتُلِفَ فِي حُكْمِهِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّهُ مَكْرُوهٌ وَقِيلَ حَرَامٌ، وَأَمَّا مَا كَانَ مِنَ الْحَلْفِ كَذِبًا فَهُوَ حَرَامٌ بِلَا خِلَافٍ، ثُمَّ إِنَّهُ يَجِبُ التَّحْذِيرُ مِنَ اللَّفْظِ الَّذِي يَسْتَعْمِلُهُ الْبَعْضُ مِمَّا فِيهِ تَشْبِيهٌُ لِلَّهِ بِخَلْقِهِ فَيَقُولُونَ عِنْدَ الْحَلْفِ "وَرَأْسَ رَبِّي" فَهُوَ مِنَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي تَنْقُضُ الْإِيمَانَ وَتُخْرِجُ قَائِلَهَا مِنَ الْإِسْلَامِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.

⁵ أي أوحى الله عز وجل إلى نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك، وكلام الله تعالى ليس بالحرف ولا بالصوت ولا باللغة لأن الله تعالى لا يُشَبِّهُ الْمَخْلُوقِينَ وَصِفَاتِهِمْ لَيْسَتْ كَصِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ.

والسلام: { يا ربِّ إِنَّكَ قَادِرٌ أَنْ تُثِيبَ هَذَا الْمَظْلُومَ خَيْرًا مِنْ مَظْلَمَتِهِ وَتَغْفِرَ لِهَذَا الظَّالِمِ } فلم يُجِبْهُ تِلْكَ الْعِشِيَّةَ⁶، فلما كان غَدَاةَ الْمَزْدَلِفَةِ أَعَادَ الدُّعَاءَ فَأَجَابَهُ⁷: إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ. ثُمَّ تَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ⁸: تَبَسَّمتَ فِي سَاعَةٍ لَمْ تَكُنْ تَبَسَّمُ فِيهَا، فَقَالَ: { تَبَسَّمتُ مِنْ عَدُوِّ اللَّهِ إِبْلِيسَ لَعَنَهُ اللَّهُ إِنَّهُ لَمَّا عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ اسْتَجَابَ لِي فِي أُمَّتِي أَهْوَى يَدْعُو بِالْوَيْلِ وَالتُّبُورِ وَيَحْتُو التَّرَابَ عَلَى رَأْسِهِ }.

وَمِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِشِيَّةَ عَرَفَةَ مَا رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { عَامَّةٌ دُعَائِي وَدُعَاءِ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي عِشِيَّةَ عَرَفَةَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }.

وَمِنْ دُعَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كَالَّذِي نَقُولُ وَخَيْرٌ مِمَّا نَقُولُ اللَّهُمَّ لَكَ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي وَإِلَيْكَ مَالِي وَتُرَاثِي اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ فِتْنَةِ الصَّدْرِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ الرِّيحِ وَمَا تَجِيءُ بِهِ الرِّيحُ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ الرِّيحِ وَمَا تَجِيءُ بِهِ الرِّيحُ }.

2- يَوْمُ الْأَضْحَى وَلَيْلَتُهُ:

فَفِي الْعَاشِرِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ عِيدُ الْأَضْحَى الَّذِي فِيهِ يَذْبَحُ الْمُؤْمِنُونَ الْأَضْحَى تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَشُكْرًا لَهُ عَلَى مَا أَوْلَاهُمْ مِنَ التَّعَمُّ وَأَبَاحَ لَهُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ وَلِيُنَالُوا بِذَلِكَ ثَوَابًا عَظِيمًا مِنْ رَبِّ كَرِيمٍ فَقَدْ رَوَى الطِّرْبَالِيُّ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { يَا فَاطِمَةُ قُومِي فَاشْهَدِي أُضْحِيَّتِكَ فَإِنَّهُ يُغْفَرُ لِكَ بِكُلِّ قَطْرَةٍ مِنْ دِمَاحِ كُلِّ ذَنْبٍ عَمَلْتِيهِ وَقُولِي إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوْلُ الْمُسْلِمِينَ } فَقَالَ عِمْرَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا لَكَ وَأَهْلَ بَيْتِكَ خَاصَّةً فَأَهْلُ ذَلِكَ أَنْتُمْ أَمْ لِلْمُسْلِمِينَ عَامَّةً؟ قَالَ: { بَلِ لِلْمُسْلِمِينَ عَامَّةً } . وَالْأَضْحِيَّةُ سَنَةٌ مُؤَكَّدَةٌ فَمَنْ تَرَكَهَا بِلَا عُذْرٍ لَمْ يَأْتُمْ وَلَمْ يَلْزَمْهُ قَضَاؤُهَا وَهِيَ مِنْ الشَّعَائِرِ الَّتِي يَنْبَغِي الْمَحَافَظَةُ عَلَيْهَا مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى ذَلِكَ.

⁶ واللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَتَغَيَّرُ وَصِفَاتُهُ لَا تَتَغَيَّرُ لِأَنَّهُ لَا يَجْرِي عَلَيْهِ الزَّمَانُ سَبْحَانَهُ وَلِأَنَّ الْمَتَغَيَّرَ يَحْتَاجُ لِمَنْ يَغْيِرُهُ وَاحْتِاجُ لَا يَكُونُ إِلْهَا.

⁷ وَلَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ مَشِيئَةَ اللَّهِ تَتَغَيَّرُ حَاشَا لِلَّهِ، وَإِنَّمَا إِجَابَةُ الدُّعَاءِ بِتَحَقُّقِ مُرَادِ الدَّاعِي مَعْنَاهَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدَّرَ فِي الْأَزَلِ أَنْ يَحْصُلَ لِهَذَا الشَّخْصِ مَا دَعَا بِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَتَغَيَّرَ مَشِيئَتُهُ تَعَالَى.

⁸ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ أَنَّهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي ليلة العاشر من ذي الحجة تكون ليلة عيد الأضحى وهي من الليالي المباركة التي يُستجاب فيها الدعاء كما نُقل ذلك عن الإمام الشافعي رضي الله عنه وهي من الليالي التي يُستحب للمسلم إحيائها بأنواع الطاعات من دعاء واستغفار وصلاة وغير ذلك مما يُتقرب به إلى الله تعالى.

3- أيام المشاعر وأيام الحج

ففي الثامن من ذي الحجة الذي هو يوم التروية⁹ يتهيأ الحجاج للذهاب إلى عرفات استعدادًا للوقوف بأرضها، وقد روي أنّ رجلاً كان إذا دخل ذو الحجة صام فقال له النبي عليه الصلاة والسلام: { فإذا كان يوم التروية فلنك عتق ألف رقبة وألف بدنة تُهدى وألف فرس تحمل عليها في سبيل الله }، وفي اليوم التاسع يكون الوقوف بعرفة وفيه قال عليه الصلاة والسلام: { الحج عرفة } (رواه الترمذي)، أي أنّ أعظم أركان الحج الوقوف بعرفة، وفي عاشرها يكون رمي جمره العقبة ثم الحلق أو التقصير ثم طواف الإفاضة فيكون الحاج بذلك قد أتمّ معظم أعمال الحج فيشكر الله الذي أعانه على ذلك ووفقه لإتمام هذه العبادة.

فائدة: يشترك الحاج وغير الحاج في يوم العاشر من ذي الحجة في الدُّبح إلا أنّ هذه السنة تُسمّى في حقّ الحاج هذياً وليست من باب الأضحية، وقد كان الحجاج فيما مضى يسوقون الهدى من بلدانهم إلى مكة لينحروها هناك وليأكل منها الحاج وغيره.

من وظائف العشر من ذي الحجة:

روى الطبراني وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: { ما من أيام العملُ فيهنّ أفضلُ من أيام العشر فأكثرُوا فيهنّ التسيح والتهليل والتكبير }، وروي عن غير واحد من السلف الترخيب في صيام التسع الأول من ذي الحجة لما ورد من الأحاديث المبيّنة لفضلها، ولذا استحبّ المالكية صيامها وخاصةً التاسع منها وهو يوم عرفة كما تقدّم.

⁹ سُمّي يوم التروية لأنهم كانوا يحملون الماء ذلك اليوم ويأخذونه من مكة إلى عرفات للشرب ونحوه.

خاتمة:

إِنَّ نِعَمَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ عَظِيمَةٌ كَثِيرَةٌ فَهَذِهِ مَوَاسِمُ الْخَيْرَاتِ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَنَا فِيهَا الْعِبَرَ وَالْمَوَاعِظَ كَمَا جَعَلَ لَنَا فِيهَا التَّذْكَيرَ بِالْإِسْتِعْدَادِ لِلْآخِرَةِ فَهَذِهِ مَرَاحِلُ الْعَمْرِ تُطَوَّى وَمَوَاسِمُ الْخَيْرَاتِ تَتَوَالَى لِيُغْتَنِمَهَا الْعُقَلَاءُ فَيُحْصِلُوا فِيهَا مِنَ الزَّادِ مَا يَنْفَعُهُمْ لِيَوْمِ الْمَعَادِ، فَهَنِيئًا لِمَنْ تَعَلَّمَ مَا فَرَضَ اللَّهُ وَعَمِلَ بِمَا تَعَلَّمَ فَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ اللَّهِ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: "مَنْ تَعَلَّمَ وَعَمِلَ بِمَا تَعَلَّمَ فَذَلِكَ يُدْعَى عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ". أَي يُثَنَّى عَلَيْهِ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ بِالثَّنَاءِ الْحَسَنِ، وَيُجْبُونَهُ هَذِهِ الْمَحَبَّةَ الْعَظِيمَةَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ رَحْمَتَكَ وَالْجَنَّةَ وَأَنْ تَمَلَأَ قُلُوبَنَا بِمَحَبَّتِكَ وَمَحَبَّةِ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنَرْجُو مَغْفِرَتَكَ فَأَجِرْنَا مِنَ عَذَابِ النَّارِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.